البلهبـــذ

للأســـتاذ حسن السندوبى

للأمير شكيب أرسلان كتاب قيم وضمه حديثاً عن «شوقى» وجعله تذكاراً لصداقة أربعين سنة . وقد حفل بالطريف من المعلومات ، والجليل من الموضوعات ، كما رد فيه كثيراً من الحقائق التاريخية التى غمرتها الحوادث ، وأبعدتها عن أصولها الكوارث، فى العصر الحديث . فكان كتاباً فريداً فى بابه كل ما يعرض له الأمير من أبحاث وشؤون ، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالعالم الإسلامى والعربى فى بقاع الأرض

وقعت لى نسخة من هذا الكتاب القيم فعنيت بقراءته عنايتى بكل ما تجود به قريحة الأمير ويسيل به قلمه الكريم . ولى منذ الصبا ولع شديد بتتبع آثاره، واستيعاب أفكاره، واقتطاف أزهاره، فله عندى منزلة من الحب قوامها الاحترام

وبينا أردد نظرى فى صفحات هذا الكتاب استوقفنى قوله وهو يقارن بين سينية البحترى التى يصف بها إيوان كسرى ، وبين سينية شوقى التى يعارضه بها ، عند قول البحترى :

قد سقانى ولم يصرد أبو النو ... ث على العسكرين شربة خلس
من مدام تقولها هى نجم ... أضوأ الليل أو مجاجة شمس
وتراها إذا أجدت سروراً ... وارتياحاً للشارب المتحسى
أفرغت فى الزجاج من كل قلب ... فهى محبوبة إلى كل نفس
وتوهمت أن كسرى أبرو ... يز معاطى والبُلْهُبُذَ أنسى

قال الأمير : ما اهتديت إلى الآن إلى معنى « البلهبذ » الذى هو لفظ فارسى فيما يظهر

فلما رأيت ذلك دهشت وأكبرت ذكاء الأمير وفطنته عن أن يفوتهما المعنى من هذا اللفظ . ولا سيما بعد أن وضعه البحترى فى مكان لا يحتمل لبساً ولا إبهاماً . فالبحترى يذهب به خياله إلى أن كسرى يعاطيه الخمر والبلهبذ يؤانسه بصوته الرخيم . إذن فالبلهبذ كان من ندماء كسرى ذوى التطريب والتغريد ، ومن الذين يحيون مجالس الشراب ، وينعشون محافل المنادمة بأصواتهم الحسنة ، وأنغامهم العذبة فالبلهبذ على هذا كان المغنى الخاص لكسرى ، والمطرب المفرد فى مجلس شرابه

ولقد أذكر بهذا أن الشيخ الشنقيطى اللغوى الكبير قال قصيدة فى رحلته إلى الأندلس ، وصف فيها الباخرة وصفاً سلبياً إلى أن قال فيها :

لا تحسبن عراب الخيل تشبهها ... ولا المهملج شبديزاً ولا عدسا

ثم علق على هذا البيت بقوله : إن شبديز فرس كسرى المشهور . كان من خصائص كسرى أبروز أن الناس لم يروا أحداً فى زمانه قط أمد منه قامة ولا أتم ألواحاً ولا أوفر جسامة ولا أبرع جمالاً منه ، فكان لا يحمله إلا فرسه شبديز ، وكان فى الأفراس ككسرى فى الناس ، يضرب به المثل فى عظم الخلق وكرم الخُلق وجمع شرائط العتق . ولما مات شبديز لم يجسر أحد على نعيه إلى كسرى ، فضمن صاحب الدواب « للفلهيد » المغنى مالاً وسأله أن يعرض لأبروز بموت شبديز ! فقال — وهو يغنيه بمجلسه — : « شبديز لا يسمى ولا يرعى ولا ينام »

فقال أبروز : « قد مات إذن » !

فقال الفلهيد : « من أفلك سمعت »

وليس من شك فى أن « البلهبذ » فى بيت البحترى هو نفسه « الفلهيد » فى رواية الشنقيطى ، وعليه يجب تصحيح رواية الشنقيطى بقول البحترى . والظاهر أن الشنقيطى نقل روايته عن كتاب أعمل فيه الناسخ يد المسخ والتحريف والتصحيف ، ولم يفطن لها الشيخ ولم يتكلف تحقيق صحتها إذ لم تكن الفارسية من شأنه ، ولا خفاء أن النقلة عن اللغات الفارسية والسريانية والعبرية وغيرها من اللغات القديمة طالما وضعوا « الفاء » فى مكان « الباء » ، كما عكسوا ذلك . وكثيراً ما أعجموا الدال وأهملوا الذال ، وهكذا فى المتشابه من الحروف . وهذا كثير غاص فيما وصل إلينا من آثار السلف

على أننى لم أرد بذلك نقد الأمير أو النض من عالى منزلته وراسخ علمه ، فهذا ما لم يخطر لى ببال ، وإنما أردت الإيماء إلى شىء لا أشك فى أنه مر كثيراً بالأمير أثناء مطالعاته ولكنه سها عنه عند إيراده بيت البحترى . والكمال لله وحده

حسن السندوبى